المحاريب العراقية ، تاريخها ، انواعها في العصر العباسي

م.م.أمتثال كاظم النقيب
جامعة بغداد
مركز إحياء التراث العلمي العربي

(خلاصة البحث)

المحراب ، هو عنصر معماري ابتكرة المسلمون لضرورات منها تحديد اتجاه القبلة في المساجد ، ووقوف الأمام فيه اثناء الصلاة لكي يوفر صفا كاملا للمسلمين في داخل المصلى، وللمحراب فائدة ثالثه في تضخيم صوت الأمام أثناء تأديته الصلاة فيسمعة جميع المصليين، كما ان له اهمية في تميز الأمام عن بقية المسلميين، وان كتب المؤرخيين والرحالة العرب تشير الى ان من اقدم المحاريب هو محراب المسجد الاقصى، ومسجد الكوفه، وجامع الرسول (ص) وجامع دمشق، وجامع القيروان، وجامع عمرو بالفسطاط .

وسأتكلم في هذا البحث وعلى مدى مباحث عدة عن اهمية المحاريب والمحاريب في اللغة، وعن انواع المحاريب، ومميزاتها، وتطورها، والمواد التي بنيت منها المساجد، وكذلك انواع الزخارف التي استخدمت في تزيين المحاريب.

أما اختياري للعصر العباسي ومحاريبة في العراق فكما هو معلوم للجميع ان بغداد هي عاصمة الخلافة العباسية ، وقد استمر حكمهما للفترة (١٣٢ه – ٦٥٦م) – (٧٤٩م – ١٢٥٨ م)، وقد تميز هذا العصر بالإزدهار والرقي وتطور العمارة ، وكثرة وتميز المساجد ومن ثم كثرة المحاريب الاسلامبة وتطور زخرفتها .

وسأتكلم أيظا عن اهم محاريب الجوامع في العصر العباسي منها ،، جامع الخليفة في سامراء ، وجامع قصر الاخيضر ، وجامع المنصور في بغداد ،هذا مايشملة البحث فضلاً عن المقدمة والخاتمة ، وقائمة الهوامش ، والمراجع...

المقدمة:

المسجد هو محور ارتقاء الأمة وتوحيدها، قال تعالى،(يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) {الأعراف/٣١} ، وقال تعالى:(وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللّهَ وَرَسُولَهُ من قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ، لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ

،أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) {التوبة/١٠٧/١٠٨/١٠٩} ،تلك هي مجموعة من أيات الذكر الحكيم التي تؤكد اهمية المساجد لدى المسلمين .

فالمسجد قوة في قلوب المسلمين منذ عصر النبي (ص)، حيث كان المسجد محطة للهداية وللعلم ولعزة للإسلام والمسلمين.

اما المحراب، فهو عنصر معماري ابتكرة المسلمون لضرورات منها تحديد اتجاه القبلة في المساجد، ووقوف الأمام فيه اثناء الصلاة لكي يوفر صفا كاملا للمسلمين في داخل المصلى، وللمحراب فائدة ثالثه في تضخيم صوت الأمام أثناء تأديته الصلاة فيسمعة جميع المصليين، كما ان له اهمية في تميز الأمام عن بقية المسلمين، وان كتب المؤرخين والرحالة العرب تشير الى ان من اقدم المحاريب هو محراب المسجد الاقصى، ومسجد الكوفة، وجامع الرسول (ص) وجامع دمشق ، وجامع القيروان ، وجامع عمرو بالفسطاط .

وسأتكلم في هذا البحث وعلى مدى مباحث عدة عن اهمية المحاريب والمحاريب في اللغة ، وعن انواع المحاريب ، ومميزاتها ، والمواد التي بنيت منها انتماءٌ الى المادة التي بنيت منها المساجد، وكذلك انواع الزخارف التي استخدمت في تزيين المحاريب .

أما اختياري للعصر العباسي ومحاريبة في العراق فكما هو معلوم للجميع ان بغداد هي عاصمة الخلافة العباسية ، وقد استمر حكمهما للفترة (١٣٢هـ– ٦٥٦م) – (٧٤٩م – ١٢٥٨م)، وقد تميز هذا العصر بالإزدهار والرقي وتطور العمارة ، وكثرة وتميز المساجد ومن ثم كثرة المحاريب الإسلامية وتطور زخرفتها .

وسنتطرق الى اهم المحاريب في الجوامع في العصر العباسي منها جامع الخليفة في سامراء ، وجامع قصر الاخيضر ، وجامع المنصور في بغداد ،هذا مايشملة البحث فضلاً عن المقدمة والخاتمة ، وقائمة الهوامش ، والمراجع .

المبحث الأول

اولا: المساجد والجوامع:

١-المسجد و الجامع لغةً واصطلاحاً :

المسجد لغةً : "من السجودِ سَجدَ- يِسْجدُ – سِجُوداً إذا وضع جبهته بالأرضِ والساجدُ المنتصبُ"[١]

المسجد اصطلاحاً : " اسم جامع يجمع المسجد، وحيث لا يسجد أن يكون أتخذ لذلك، فأما المسجد من الارضِ، هو موضع السجود نفسه، وكلّ موضع يتعبد فيه" [٢].

٢-الجامع لغةً : "جمع-جمعتُ أمري وأجمعهُ وأجمعتهُ". [٣]

الجامع أصطلاحاً : "الذي يجتمع فيه الناسُ ،ويومُ الجمعِ كيومِ القيامةِ ،لأجتماع الناس فيه". [٤]

يُعّد المسجدُ مظهراً من مظاهر العمارة الدينية، وله منزلة خاصة في نفوس المسلمين، وهو مركز دينيّ وعلميّ واجتماعيّ،وهناك عدد من الآيات القرآنية التي تحث على أهمية المسجد في الإسلام" (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ) .[٥]

كانت المساجد ، وستظل، محور الحياة الدينية في العالم الإسلامي. أذ أقيم أول مسجد في الإسلام من قبل النبي محمد " صلى الله عليه وسلم" في المدينة المنورة، وكان من البساطة بحيث لم يتجاوز في بدايته حجم قاعة لإقامة الصلاة، ومكانا يجتمع فيه النبي الكريم بأصحابه. وعلى هذا النمط البسيط أقيمت مساجد كثيرة في مختلف المدن والبلدان، التي أشع عليها نور الإسلام بعد ذلك. ولكي يتعرف المسلمون على الجهة الصحيحة للقبلة في أثناء الصلاة وضع المحراب؛ ليكون وجهتهم الصحيحة للصلاة نحو الكعبة المشرفة. هذا المحراب الذي أمسى رمزا للصلاة، وموقعا جوهريا يذكر الناس بعبادة الله عزوجل. وتبارى الناس في تفخيمه، والتركيز على شكله، حتى صار تحفة معمارية تنطق بالجمال والإبداع، وتعبر في الوقت نفسه عن الروح المبدعة، التي تحلى بها المعماري والفنان والمسلم.

تعريف المحراب

والمحراب عنصر معماري ، أكثر ما يوجد في المساجد والجوامع والزوايا والمدارس. وهو التجويف أو الحنية الموجودة في حائط القبلة. و قيل أيضا إنه «الغرفة، الموضع العالي، صدر البيت، أعلى مكان في المسجد، أشرف الأماكن، أشرف المجالس، وقد أطلق عليه أيضا القبلة» (١).

و لا يتسع المحراب إلا لشخص واحد هو الإمام، يؤدي فيه الصلاة في وقت الذروة، وفي الأعياد والمواسم، وازدياد عدد المصلين، فيكون وجود الإمام داخل تجويف المحراب يتيح فرصة لتكوين صفأ كاملاً من المصلين، مما يوفر في المكان. أما في الأحوال العادية، فإن الإمام غالبا ما يقف بعيدا عنه، وذلك يعطي انطباعا بأن عمل المحراب لا يزيد على كونه علامة بارزة لتحديد اتجاه القبلة، وبذلك يعد هذا العمل الرئيس للمحراب .

ثانيا

المحراب في القرآن الكريم

ورد ذكر المحراب في أكثر من موضع من آيات القرآن الكريم، قال تعالى: {فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا} (مريم:١١).

ونلحظ هنا أن التوجه بالتسبيح صباحا ومساء كان لوجوده في المحراب، أي إن المحراب هو موضع لائق لذكر الله والتسبيح والتبتل إليه سبحانه، { وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} (آل عمران:٣٧).

والمحراب هنا «غرفة عبادتها في بيت المقدس» (٢). {فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ} (آل عمران:٣٩)، أي إن المحراب للصلاة ومناجاة الله وذكره سبحانه. كما وردت كلمة المحراب في القرآن الكريم بمعنى المكان العالي المكرم في المنزل، قال تعالى: {وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ } (ص:٢١)، «أي اعتلوا سور مصلاه ونزلوا إليه» (٣). كما جاءت لفظة محراب في القرآن الكريم بصيغة الجمع «محاريب»، في قوله تعالى: {يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ} (سبأ:١٣)، وفسرت المحاريب في هذه الآية الكريمة بالقصور والمساجد التي يتعبد فيها الناس .

ثالثا

انواع المحاريب :

أ- المحاريب المسطحة

هي مجرد رمز يعين اتجاه بيت الله الحرام على هيأة رسم مسطح أو غائر أو بارز. وتذكر المصادر التاريخية أنه «لم يكن المحراب في مسجد النبي(ص) مجوفا، بل مسطحا تسطح الجدار نفسه، ولكنه كان محددا أو معلما، وظل في مكانه بعد توسعة المسجد في حياة النبي(ص) ، في السنة السابعة بعد الهجرة،

وكان جراء ذلك أنه صار أقرب إلى الجدار الشرقي منه إلى الجدار الغربي، ذلك لأن توسعة المسجد نحو الغرب كانت أطول من توسعته نحو الشرق. وفي خلافة عمر بن الخطاب "رضي الله عنه" ، نقل جدار القبلة نحو الجنوب بمقدار خمسة أمتار تقريبا، ومن ثم نقل مكان المحراب نحو الجدار الجديد، ولكن على نفس المحور، وحدث الشيء نفسه في خلافة عثمان بن عفان "رضي الله عنه" ، حيث نقل جدار القبلة إلى الجنوب خمسة أمتار أخرى، وبذلك صار في موضعه الحالي».

و ظل المحراب في العهد الإسلامي الأول مسطحا. أما عن المادة التي صنعت منها المحاريب المسطحة، فكانت من الجص على حائط القبلة. ومن أمثلة المحاريب المسطحة الباقية إلى اليوم محراب قبة الصخرة المسطح في المغارة تحت الأرض، كما يوجد في مسجد ابن طولون في القاهرة خمسة من المحاريب الجصية المسطحة، التي يعود بعضها إلى العصر الفاطمي، والبعض الآخر صنع في العصر المملوكي . (٤)

ب - المحاريب المجوفة

تتخذ المحاريب المجوفة هيأة بنائية، وكيانا معماريا فريدا، ولا يعرف على وجه التحديد مكان أول محراب مجوف في المساجد الإسلامية، غير أن بعض المصادر ترجع إنشاء أول محراب مجوف إلى توسعة المسجد النبوي في عهد الوليد بن عبدالملك، زمن ولاية عمر بن عبدالعزيز على المدينة، «الذي جعل للمسجد محرابا مجوفا، وموقعه في الروضة الشريفة، أمام مصلى النبي(ص) ، فكان هذا أول محراب مجوف في المسجد» (٥).

و انقسمت المحاريب المجوفة على نوعين: المحاريب المجوفة ذات المسقط المتعامد الأضلاع، والتي ترجع إلى القرنين الأول والثاني الهجريين، خصوصا في شرق العالم الإسلامي، وفي العصر العباسي كما في «محراب قصر الإخيضر، ومحراب أقدم مسجد باق على أرض فارس، ويعرف باسم طريق خانة» (٦).

أما في النصف الأخير من القرن الثاني الهجري، فقد كانت الغلبة للمحراب المجوف ذي المسقط نصف الدائري، والذي نجده بكثرة في العمائر الأموية، كما في المسجد الأموي بدمشق، وجامع قصر الحلايات، ومسجد خان الزبيب، ومسجد أبو الوليد، والمحراب الصغير في قصر المشتى وقصر الطوبة، وجميعها في منطقة الشام. وسرعان ما انتشر هذا النوع من المحاريب المجوفة في بناء المساجد في شرق العالم الإسلامي وغربه على حد سواء. و قيل الكثير من الآراء بشأن الحكمة من المحراب المجوف، منها أنه يفيد في تعيين اتجاه القبلة، وفي تحديد مكان الإمام عند الصلاة، وفي توسيع المسجد بما يقرب من

صف من المصلين في الصلاة الجامعة، ويساعد على تجميع صوت الإمام وتكبيره وإيصاله إلى المصلين، الذين يوليهم ظهره في أثناء الصلاة، لاسيما قبل اختراع مكبرات الصوت .

ج- المحاريب المتنقلة

عرف المسلمون المحاريب المتنقلة، أو غير الثابتة، وهي محاريب يمكن نقلها من مكان إلى آخر عند الضرورة، وكانت هذه المحاريب تصنع من الخشب، وكان يعنى بزخرفتها، حيث كان يستخدم بعضها لإقامة الصلاة في القصور الخاصة بالخلفاء والأمراء. و عرفت هذه المحاريب المتنقلة أيضا في منطقة الموصل بالعراق، وما وقع شمالها من أرض الأكراد، وذلك بغرض استخدامها في المصلى الصيفي للمساجد التي تقع في المناطق القارية، التي يتسم مناخها بالبرودة الشديدة شتاء، والحرارة الشديدة صيفا، الأمر الذي دفع بالمسلمين في هذه المناطق إلى تقسيم المسجد إلى قسمين، أحدهما مغلق للصلاة في أوقات الشتاء، والآخر مفتوح لاستخدامه في فصل الصيف. ولما كان المحراب الرئيس يشيد في الجزء المغلق، كان الاحتياج شديدا لاستخدام المحاريب المتنقلة في المصليات الصيفية. ومن أمثلة هذه المحاريب المتنقلة الباقية إلى اليوم «محراب السيدة رقية، بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة، الذي يعود تاريخه إلى عام ٥٣٣م» (١١) .

وفيما تقدم نرى : على الرغم من اختلاف العلماء بين مؤيد ومعارض للمحراب المجوف، فإنه يمثل عنصرا فنيا ومعماريا مهما، يؤكد الطراز الفريد للعمارة الإسلامية، ويمثل في الوقت نفسه أحد الملامح المعبرة عن جماليات الفن الإسلامي .

د- المحاريب المنزوية

وسبب هذه التسمية بالحاريب المنزوية ، تعود الى موقعها في الزاوية الجنوبية الغربية وتشمل محراب الأمام عون الدين في الموصل ، وكل محراب منها يتألف من لوحتيين مستطيلتين مسطحتين ، واحدة واقعة في الجانب الغربي والأخرى في الجانب الجنوبي ، وبلقائهما يكونان زاوية قائمة .

رابعا:

مواد بناء المحاريب

نال المحراب المجوف عناية كبيرة من مؤسسي المساجد في الاهتمام بعمارته

وزخرفته، ونوعية المواد التي يغشى بها تجويفه. ونتوقف هنا مع أهم المواد التي صنع منها تجويف المحاريب .

١-الجص

يعد الجص من أقدم المواد التي صنع منها تجويف المحاريب في المساجد الإسلامية. ويعد المحراب القديم في جامع أحمد ابن طولون، في مدينة القاهرة، أقدم مثل في مصر على استخدام الجص في تشييد المحاريب، حيث استخدم الجص في تشييد محراب المسجد، وذلك من ناحية جداره المجوف وعقود واجهته، وما حولها من زخارف جصية كلها تعود إلى زمن ابن طولون «ما عدا الكسوة (الطاقية) التي صنعت من الخشب، التي زخرفت بالألوان، فهي من أعمال السلطان لاجين المملوكي، وكذلك الشريط المزخرف بالفسيفساء والكسوة من الحشوات والأشرطة الرخامية، التي تغطي سطح تجويف المحراب» (٧)

٢-الرخام

كان الرخام من المواد المفضلة في تغشية محاريب المساجد. ومن أشهر المحاريب الرخامية القديمة المحراب الذي عثر عليه في جامع الخاصكي ببغداد، ويعتقد أنه كان في الأصل عمل لجامع المنصور، الذي بناه لقصره في وسط بغداد، وهو عبارة عن قطعة من الرخام، وهناك أيضا محراب جامع عقبة ابن نافع في القيروان، والذي زود على أيدي حكام إفريقيا من الأغالبة من حشوات رخامية من المرمر المزخرف، ومحراب مسجد الناصر قلاوون في مدينة القاهرة، الذي يعد من أكبر المحاريب في مصر وأفخمها، «يكتنفه ثلاثة أعمدة رخامية ذات تيجان كأسية، وفي تجويف المحراب فسيفساء من الرخام، والصدف متعددة الألوان» (٨).

وأيضا في محراب مسجد السلطان حسن «المكسو بالرخام الملون المحلى بنقوش ذهبية، الذي يكتنفه أربعة أعمدة من الرخام، على يمين المحراب المنبر، وهو من الرخام الأبيض، وبابه من الخشب المصفح بالنحاس المنقوش» (٩).

كما زاوج المسلمون في المغرب والأندلس في عمل المحاريب وزخرفتها بين استخدام الجص والرخام في عبقرية فنية فريدة، تفصح عن نفسها في محراب جامع قرطبة الكبير، ومحراب مدرسة يوسف في غرناطة .

٣-الخزف

وإلى جانب الجص والرخام ، برع الفنان المسلم في استخدام مختلف أنواع البلاطات الخزفية، لتغشية المحاريب، وكان أول ظهور لبلاطات الخزف ذات البريق المعدني، في صنع المحاريب، في سامراء بالعراق، ثم أرسلت ليزدان بها محراب مسجد عقبة بن نافع في القيروان، هي باقية إلى يومنا هذا .

وقد تنافس الغرب الإسلامي مع المشرق الإسلامي، في الشغف باستخدام الخزف لزخرفة المحاريب، ففي بلاد المغرب والأندلس، ولا سيما في عصر

دولة الموحدين، استخدم الزليج بزخارفه الهندسية الدقيقة والمتعددة الألوان على نطاق واسع، حتى بات من مميزات الفن الإسلامي الرئيسة هناك، كما أثبت الخزافون في المشرق الإسلامي جدارتهم بريادة هذا الفن، من خلال استخدام بلاطات الخزف ذي البريق المعدني، والخزف ذي اللون الأزرق الفيروزي، لتغشية وزخرفة حنايا المحاريب، وذلك بتجميل محاريب البلاطات الخزفية بالكتابات النسخية، التي تحوي آيات من القرآن الكريم، إلى جانب الزخارف النباتية المعروفة بالتوريق أو الأرابسك، واستخدمت المقرنصات الخزفية أيضا لتزيين أطواق المحاريب، مثلما نرى في محراب جامع يزد، ومحراب جامع قلبان في بخارى. وقد لحق الأتراك العثمانيون بركب المحاريب الخزفية، فنراهم يستخدمون بلاطات الخزف المنتجة في أزتيك، ليس فقط لتغشية المحاريب، بل لكسوة جدران المساجد من الداخل بها (١٠).

المبحث الثاني

أولا : أنواع الزخارف الإسلامية

١- الزخرفة الهندسية
٢- الزخرفة النباتية
٣- الزخرفة الكتابية
٤- الزخرفة الأدمية (الحيوانية)

أولاً - الزخرفة الهندسية :

عرفت الفنون الهندسية في الفنون التي سبقت الإسلام كإطارات لغيرها من الزخارف.أما في الاسلام ومن ثم استخدمت الرسوم الهندسية البسيطة كالمثلثات والمربعات والمعينات والأشكال الخماسية والسداسية والدوائر والخطوط المزدوجة والمنكسرة والخطوط المتشابكة ولكن المقصود هنا الرسوم التي تميزت بها الرسوم الهندسية و تميزت بها الفنون الإسلامية ولا سيما في عصر المماليك في مصر وهي التراكيب الهندسية والنجمية المتعددة الأضلاع وتشكيلاتها المتعددة التي استخدمت في زخارف التحف الخشبية والرخام والنحاسية والصفحات الأولي المذهبة في المصاحف والكتب وزخارف السقوف (١١).

ثانيا – الزخرفة النباتية:

استلهم الزخارف الآسلامية العنصر النباتي في الطبيعة ، للشكل واللون، لتصميم ورسم الزخارف الهندسية ، فقلدو الطبيعة تقليداُ صادقا ، فاستخدموا الورقة القلبية البعيدة الشكل واللون عن الطبيعة لتكوين زخارف تمتاز بما فيها من تكرار وتنوع وتقابل وتناظر تبدو عليها مسحة هندسية تدل علي سيادة مبدأ

التجريد ة الرمز في الفنون الاسلامية. والحقيقة أن الارابيسك هي الزخارف المكونة من فروع نباتية وجذوع حلزونية متقاطعة أحيانا ومتشابكة ومتتابعة فيها موضوعات زخرفية مهذبة ترمز إلي الوريقات والزهور ويراعي في تصميمها شغل الفراغ بحكمه (وبدأ ظهور زخارف الارابيسك) في القرن التاسع الميلادي (١٢).

ثالثا_ الزخارف الكتابية:

من أهم العناصر التشكيلية واستعملت الكتابات في تسجيل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والمأثورات والدعاء وتعتبر الزخارف الكتابية من مميزات الفنون الأسلامية وأبدع الفنان الاسلامي في كتابة العبارات بالخط الكوفي المتداخل في شكل مربع أو مستطيل (١٣) .

رابعا- الزخارف الآدمية (الحيوانية)

عرف المسلمون الصور الآدمية ورسوم الحيوانات ، غير أن رسم الكائنات الحية أبتكروها في بداية الاسلام بوجه عام وفي عصر الرسول(ص) وأساسها الرغبة في أبعاد المسلمين عن الصور والتماثيل التي تقربهم لعبادة الأصنام ،و أزدهرت صناعة الصور والرسوم التوضيحية في إيران والهند وتركيا .

ثانيا :

سمات الزخارف الاسلامية

١-كراهية الفراغ

كان الفنان المسلم يميل الي تغطية المساحات ولا يتركها من دون زينة أو زخرفة وهذا ما يلفت النظر في التحف الفنية والعمائر الإسلامية حيث نجدها مزدحمة بالزخارف المتصلة بعضها ببعض و تغطي المساحة كلها .

٢- الزخارف المسطحة

البروز نادر جدا في الرسوم الإسلامية إذا انصرف الفنانين عن التجسيم برسوم مسطحة ولكن التلوين والتذهيب خفف من وطأة هذا النقص.

٣-البعد عن الطبيعة .

صور الفنان للأشياء كما صورها خياله ولم يعتن الصدق في تمثيل الطبيعة والبعد عن تمثيل الطبيعة كان مبعثة لنفور المسلمين من تقليد الخالق.

٤- التكرار

استخدم التكرار , ولذلك كان للتكرار أهمية ووسيلة للفنان المسلم للتغلب علي مشكلة الفراغ بكثرة تلفت النظر وهذا ما نراه على التحف والعمائر الاسلامية المختلفة سواء خشبية أو معدنية أو نسيج .وهكذا استخدم المعمار الإسلامي اساليب البناء والاعمار من اجل التميز في بناء المساجد .

واستخدم الزخارف والنقوش البناتية والحيوانية المتميزة والمعبرة للمعاني والقيم والذوق العربي الاسلامي، كما اهتموا ايضاً باختيار امهرالمهندسين المعماريين والفنانين والنحاتين والعمال وابدعهم مستعنين ببعض المعماريين القوط وباطلال المعابد القديمة لانجاز هذا البناء[١٤].
وهو يمثل مرحلة من مراحل النضج الفني والمعماري العربي الإسلامي حسبما ذكره المؤرخ الفقي "لعل ذلك راجع الى طريقة تخطيط الجامع وأسلوب البناء فضلاً عن العناصر المعمارية والزخرفية التي كان بعضها قد انتقل من الشرق الى الغرب عن طريق الجيوش الفاتحة"[١٥].
د[٦] ،لقد راعى مهندسي المساجد الاسس البنائية في اختيارموقعه،و استخدام افضل اصناف مواد البناء واجودها،وأدخال مظاهر الجمال والزينة عليها من ابهى انواعها .

المبحث الثالث
المحاريب في العصر العباسية
اولا :لمحة التاريخية :
- قامت دولة بني العباس في عام (٧٥٠م /١٣٢هـ) حتى بداية عهد السلاجقة .
- ينتسب العباسيون إلى أولاد العباس عم النبي محمد (ص) وأقرباءؤه الذين نقمو وعارضو ضد الأمويين فتكلموا مع أبناء عمومتهم من أولاد علي بن أبي طالب .
- أخذوا الكوفة وخراسان لاثارة المسلمين ضد الأمويين وأنطلقت الشرارة من فارس وخرسان بقيادة أبو مسلم الخرساني وانتصرت الثورة على جيوش الأمويين حيث فتح مروان الثاني آخر الخلفاء الأمويين هـ١٣٢ .
- بويع أبو العباس بالخلافة في الكوفة التي أصبحت العاصمة الأولى الجديدة ، وتوالى الخلافة أبي جعفر المنصوري ، المهدي ، هارون الرشيد ، الأمين ، المأمون ، المعتصم والواثق بالله.
- لم تكن وحدة الدولة كاملة في عهد العباسيين ، أخذت تنفصل عنها ولايات وأقاليم استقلت :
الأندلس وهي أول الولايات التي انفصلت وخضعت للأمويين (١٦).
تونس وهي دولة الأغاية .
مصر وهي الدولة الطولونية (أحمد ابن طولون) .
حلب والموصل وهما دولة الحمدانية .

اليمن الدولة الزيادية .
خرسان الدولة الطاهرية .
طرستان (شمال ايران) دولة علوية (الدولة الزيدية) .
ايران / قزوين الزيارية .
تركستان (ماوراء النهرين) الدولة الساسانية .
أفغانستان الدولة الفزنوية .

- على الرغم من هذا التشييع والانفصال السياسي كان الجميع يشارك في اقامة صرح الحضارة الإسلامية دون عصبية .
- بلغ الحماس والتنافس بين الخلفاء على إنشاء مدن ومساجد وقصور كبيرة .

ثانيا :

خصائص العمارة :

- تأثر بالبيئة الجغرافية والطبيعية والبشرية لانتقال مركز الدولة من الشام للعراق .
- ظهرت أعمال فنية وعمارة متأثرة بالفنون الفارسية .
- مواد البناء : أصبح اللبن والآجر مادة بناء رئيسين .
- ضخامة وكبر مساحة القصور والمباني (مقارنة بالأمويين) .
- شيوع استعمال القباب بالاضافة الى الأسقف المستوية المحمولة على عضائد مستطيلة من الآجر (أي السقوف الثانوية).
- ظهور القوس المدبب ، قوسان بتاج دائرة كبيرة وصغيرة في كل جنب .
- تطور هذا العقد ليصبح أكثر أو أقل تقعرا .
- ظهور نوع من المآذن الملتوية في ثلاثة مساجد ، وأثنان في سامراء ، والثالث في مصر ، تأثرا بالمعابد القديمة في العراق .
- ظهور النقوش الجصية أو الرسوم الملونة على الجص واستخدام الخشب المنقش المصبوغ .
- أشكال نباتية وهندسية (أوراق وعروق) .
- بعض التصوير (حيوان وطير وإنسان) في القصور(١٧).

ثالثا :

أهم المباني :

أولا : المدن الرئيسة

- **بغداد المنصور :** أقيمت بعد تخطيط ودراسة من المنصور ، خططها على الأرض قبل انشائها .
- اتخذها المنصور عاصمة الخلافة وسماها دار السلام .

- المخطط : دائرة قطرها (٢٦٣٨) م ، محيطها(١٦٠٠٠)م ، محاطة بسور مؤلف من ثلاثة جدران تتخللها الخنادق فتحت فيها أربعة أبواب ذات ممر منكسر تتقدمها الجسور موزعة على السور سميت بأسماء المدن (باب البصرة ، باب خرسان ، باب دمشق ، باب الكوفة)، وزعت من الأبواب الشوارع الرئيسية إلى قلب المدينة حيث المسجد الجامع وقصر الخلافة .
- اتسعت وأضيفت لها خواص عاشت عدة قرون أكبر عواصم العالم الإسلامي حضاريا وعمرانيا .
- دمرها المغول في عام (٦٥٦ه _ ١٦٥٨م).

ثانيا:

- **مدينة سامراء :** بناها المعتصم واتخذها مقرا للخلافة بدلا من بغداد لأسباب سياسية واجتماعية ، على ضفاف دجلة الشرقية .
- عاشت ٥٨ عام ، ثم انتقلت الخلافة إلى بغداد .
-
- أهم الجوامع:
- أولا:
- **جامع سامراء الكبير :**
- بني في عهد المعتصم ٢٢١ه .
- أصبحت الآن أطلال ماعدا المئذنة والسور وبقية الأجزاء والدعامات من اللبن .
- مستطيل ٢٤٠×١٥٦م ، يعد أوسع مسجد ، كبير وزيدت مساحته إلى (٤٤٤×٣٦٦)م .
- السور سميك ٢.٦٥م ، مزود ب٤٤ برج دائري قطرها ٣.٦٠م مبنية على قاعدة مستطيلة بحتوي (أثنى عشر برج في كل ضلع كبير ، ثمانية أبراج في كل ضلع صغير ، اربعة أبراج في الأركان) .
- أحدى وعشرين باب متساوية الفتحات ماعدا الأربعة الركنية فهي أصغر ، وهناك بابان صغيران في جدار القبلة على جانب المحراب .
- الصحن واسع تتوسطه بركه تحيط به الأورقة (اثنان وعشرين صف في الشرق والغرب) في كل منها اربع عضائد .
- الحرم : مستطيل ، أربع وعشرين صف عضائد عامودية على جدار القبلة ، ليس هناك عقود ، السقف محمول مباشرة على الأعمدة ، والنوافذ معقودة بقوس خمسة فصوص على أعلى جدران الحرم .
- المحراب : يشبه الايوان ، مسقطه مستطيل (٢.٥٦×١.٧٥م) يعلوه عقدان متراكبان من الرخام الوردي .

- يحيط به اطار مستطيل في زواياه فسيفسة ذهب .
- المئذنة : أكثر أقسام الجامع كمالا ، عاشت عدة قرون ، اشتهرت بالملوية بسبب شكلها الحلزوني ، تنتهي في أعلاها بغرفة مستديرة ارتفاع (٦م) ومسقفة بقبة مزينة بثمانية محاريب ذات عقود مدببة ، اما أرتفاع المئذنة (٥٠م)، معزولة عن الجامع ، تبعد عن الجامع حوالي (٢٧ م) .
- المحراب المجدد : وهو الذي نقل الى دار الاثار العربية (خان مرجان) ثم نقل بعدها الى قاعة المتحف العراقي .وقد بني من الجبس وهو مستطيل الشكل خالي من الزخرفة (١٨).

ثانيا:

قصر الأخيضر :

- في بادية العراق .
- له أهمية معمارية نظرا لعناصره العسكرية .
- أسوار من حجر الآجر في أجزاء خاصة في التسقيف .
- سور حصين تحيط به الحدائق من ثلاثة جهات يلتصق بالسور في الجهة الشمالية .
- أبراج في السور .
- دخلات في السور ، وظيفة دفاعية ، إذ تحدث عقودها مع جدار السور وتصب الزيوت المغلية على المهاجمين سعة فتحتها (١٧)سم تستخدم من الممر الدفاعي الممتد أعلى السور ، يعتد أول عنصر من نوعه في العمارة العسكرية .
- سماكته (٢.٦٠ م ، ٤.٦٠)بالدعائم .
- ممر دفاعي فوق السور مسقوف يصعد له بسلالم عند الأركان وبوابات السور .
- عنصر عسكري آخر ، الباب الانزلاقي / الزلاقة ، أصبح شائع في حصون العرب والفرنجة ، ينزلق من أعلى بواسطة حبال وبكرات عليه غرفة(الدركاة) مزود بسقاطات لرمي المهاجمين .
- القصر : وراء البوابة الشمالية يقابل المسجد .
- مستطيل(١١٢×٨٠م) محاط بسور ويتخللة أبراج دائرية .
- به صحن مزين جدرانه الداخلية .
- في الوسط دار الأمين ، هندسة ضخمة ، واجهة بثلاثة أبواب ، الأوسط أكبرهم يؤدي لقاعة مستطيلة طويلة خلفها قاعة أخرى مربعة مسقوفة بقبة .

- يحيط بالقاعة مجموعة غرف ثم مجموعة من الوحدات المستقلة المتلاصقة ذات طابق واحد ، ماعدا الدار الشمالية الشرقية المجاورة للبهو فهي ثلاثة طوابق .
- عناصر معمارية : أقباء طويلة ومتقاطعة مبنية من الآجر لتسقيف القاعات والممرات ، عقود مدببة / عباسية وعادية ، مقرنصات ركنية في القباب ، زخرفة محدودة خاصة عند أو حول النوافذ .
- اما المسجد فيقع في الجهة الشمالية الغربية من القصر ،وبفصلة عن القصر ممر او -دهليز ، والمسجد مستطيل الشكل مساحته (٢٤،٢٠- ١٥،٦٥) وقد ذكر احد المستشرقيين ان احد غرف القصر قد اتخذت بيت للصلاة بالرغم من انحرافها عن القبلة .نلاحظ ان جدار الغرفة منحرف عن القبلة قليلا وبمقدار(١٢) بوصه وهذا الانحراف بسيط قياسا بالجوامع الإسلاميه الاخرى .
- أما وصف المحراب ، يقع في منتصف جدار القبلة وقد بني بقطع من الحجارة غير المنتظمة ، أما مقاساته فهي كما يأتي : أرتفاعة الكلي (٢،٤٦م)وعرضة(١،٥م)وعمقة(٥٢مسم)وارتفاع العقد(٨١ سم)وفتحة العقد (٨٠ سم)اما ارتفاع الارجل التي يرتكز عليها العقد(١،٦٥م). وهذا المحراب يعد من ابسط انواع المحاريب العراقية ، وهو خالي من الزخارف الكتابية (١٨).

ثالثا :

جامع ابو دلف في سامراء:

- واحد من مساجد سامراء ، استخدم الآجر والجص المنقوش وفي المئذنة المشابهة للعلوية .
- المخطط : مسستطيل(١٤٠×١٢٢م)له سور خال من الأبراج مزود بأبواب كثيرة (٧ في الغرب منها أثنان يؤديان للحرم مباشرة ، سبعة في الشرق ، خمسة في الشمال ، اربعة صغيرة في جدار القبلة لدخول الخليفة .
- السور : سماكته(١٠٣٢م)خال من الأبراج مزود بأبواب مماثلة تقابل الأبواب المفتوحة في السور الداخلي .
- الصحن : شبه مربع ضلعه(٩١م)محاط برواق يتألف من بلاطتين موازية للسور ، صفين قناطر محمولة على العضائد في كل منها ثلاثة عشر قنطرة ، يتوسط الصحن بركة مظللة .
- الحرم : مستطيل مؤلف من خمسة بلاطات موازية للقبلة تكونها خمسة صفوف من القناطر في كل صف سبعة عشر قنطرة محمولة على العضائد ، ويوجد قبة حديثة أمام المحراب (بناه الخليفة المتوكل) .

- المئذنة : حجر مؤلفة من ثلاثة أقسام:(السفلي مربع ارتفاعه(٢١م)، الأوسط دائري ارتفاعه(٧م)بدرج خارجي لولبي ، العلوي طبقتين مثمنتين تعلوها قبة صغيرة .
- واجهات الجامع : نوافذ علوية فوق مستوى الأبواب تتخللها محاريب زخرفية ، تتوج الواجهة سلسلة من الشرفات ارتفاعها(٢م).
- الصحن : سلسلة متناظرة محمولة على عضائد يتخللها بين العقود نوافذ مستطيلة ذات عقود مدببة لتخفيف الحمل وللزخرفة وليست للإضاءة .
- النقوش الزخرفية : جصية بالأساس لملأها بالآجر ، على أوجهه العقود وبداخلها زخارف ونقوش ، واطارات النوافذ بين القناطر، هندسية الشكل ، الخشب منقوش في مواطن الأبواب بزخارف نباتية ، عروق ملتفة وأوراق عنب ، كتابة كوفية تؤلف شريط يحيط بسقف الحرم ككتيبة قرانية (١٩).

رابعاً:

قبة الصليبية :

- وتقع على نهر دجلة ،وهي أقدم تربة في ضريح الحضارة الاسلامية .
- شيد للخليفة محمد المنتصر بن المتوكل .
- المسقط:شكل مثمن خارجي، وآخر داخلي بينهما رواق عرضه (٢.٦٣م)مسقوف بقبة طويلة يحملها ستة عشر عقد .
- المثمن الخارجي مزود بباب في كل ضلع .
- الوجزة تقابل الجهات الأربع.
- ومن الجدير بالذكر هناك الكثير من الجوامع المميزة والمحاريب المزغرفة التي كان لها شأن كعنصر معماري مميز للمساجد الإسلامية (٢٠).

الخاتمة :

للمحاريب العراقية اهمية كبيرة حيث حضيت بأهتمام المعمار الإسلامي فاختار لها أفضل المواقع وأمهر الصناع من بنائيين، وفنانيين ،ومعماريين ، كل ذلك لم ياتي من فراغ بل جاء من تقديس الجوامع والمساجد وما لها اهمية في نفوس المسلمين .

وقد حثت تعاليمنا الاسلامية على ذلك ، وكان اول مسجد اسلامي هو المسجد النبوي الذي وضع اساسة النبي محمد (ص) ، وكما ان هناك عمارة اسلامية اذن هناك عناصر معمارية تكون هذه العمارة وحسب المعمار قيد الدراسة وهنا نقصد المسجد فالمحراب واحد من العناصر المعمارية المكونة للمسجد كالقبة ، والفناء ، والمئذنة ، وبيت الصلاة . وقد كان للمحراب أنواع مختلفة ، منها المنزوية ، والمتنقلة ، والمجوفة ، وكان تزين المحاريب بزخارف متعددة

حسب اهمية الجوامع والمساجد وكان يتسابق الخلفاء والولاة في بناء الجوامع وذلك لتخليد اسمائهم فارتبط كثير من اسماء الجوامع باسماء هؤلاء .
واختار المعمار افضل مواد البناء وارقاها وذلك لبناء هذه المحاريب وشهدت المحاريب في العصر العباسي تطورا ملحوضا لما لهذه الحقبة من اهمية على العمارة الإسلامية حيث عاشت الأمة الإسلامية فترة رقي وأزدهار .
وقد تكلم المؤرخين والمستشرقيين عن المساجد ووصفوا كثير من محاريبها .

الهوامش :

- القرأن الكريم (سور من القران الكريم ، سورة التوبة ، سورة سبأ)
١- ابن سيده ،أبو الحسن علي بن أسماعيل ،(ت ٤٥٨هـ)،المخصص،المكتب التجاري،بيروت ، (د-ت) ،ج٣،ص ١٦٥؛ابن منظور،أبوالفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصريّ،لسان العرب، دارصادر، بيروت ، ٢٠٠٠ ، ج٤ ، ص ٢٠٤.
٢- الفراهيدي،أحمد بن خليل،العين، دارصادر،بيروت،(د-ت)،ج١،ص٤٦٤.
٣- ابن سيده،المخصص،ج١،ص٢٦٤.
٤- ابن منظور،لسان العرب،ج١٢،ص٣٥٨.
٥- سورة التوبة، أية ١٨. (١) ابن القوطية،ابو بكر محمد، (ت٣٧٦ ه)، تاريخ افتتاح الاندلس، تح:ابراهيم الابياري، ط٢،دارالكتاب اللبناني،بيروت،١٩٨٩،ص٧٨ ؛ابن الاثير الكامل، ج٥، ص٤٩٦؛ابن الخطيب،اعمال الاعلام، ص١٠-١١.
٦- مختار الصحاح، مادة «م ح ب»، ص٦-١٣
٧- كلمات القرآن.. تفسير وبيان، للشيخ حسنين محمد مخلوف، ص ٣٧٢
٨- المصدر السابق، ص ٢٦٢
٩- موسوعة المفاهيم الإسلامية، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، وزارة الأوقاف المصرية، الفصل الخاص بالمحاريب (نسخة إلكترونية)
١٠- وكالة الرئاسة العامة لشؤون المسجد النبوي، محاريب المساجد.
١١- الفن الإسلامي، أبوصالح الألفي، ص ١١-١٦٨
١٢- المصدر السابق، ص ١٢-١٦٩
١٣- المصدر السابق، ص ١٣-١٩٨
١٤- جامع السلطان حسن وما حوله، د. حسن عبدالوهاب، ص١٨
١٥- الفن الإسلامي، مصدر سابق، ص ١٧٥
١٦- المصدر السابق ،ص ٢٢١
١٧- المصدر السابق ،ص٢٢٤
١٨- المصدر السابق ،ص٢٢٧
١٩- المصدر لبسابق ، ص٣٣٤
٢٠- موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، د. حسن الباشا، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية،(نسخة إلكترونية) .

المراجع :

القرأن الكريم
١- الالفيي ، ابوصالح ، الفن الاسلامي ، مطبعة مصر .

٢- ابن الاثير : عز الدين ابو الحسن علي ابن كرم محمد بن عبد الكريم الجزري (ت ٦٣٠ه – ١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ ، ١٢ جزء طبعة القاهرة ١٢٩٠ه .
٣- اللباب في تهذيب الانسان ، ثلاثة اجزاء طبعة القاهرة ١٣٥٧ه .
٤- الكامل في التاريخ ، طبعة القاهرة .
٥- باشا حسن ،موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية ، المجلس الاعلى للفنون الإسلامية (نسخة الكترونية)مصر .
٦- باقر وسفر ، طه باقر وفؤاد سفر ، المرشد الى مواطن الأثار والحضارة ، بغداد ١٩٧٦ .
٧- جواد سوسة ، مصطفى جواد واحمد سوسة (مدينة المنصور وجامعها) مجاة سومر عدد ٢٠ سنة ١٩٦٦ .
٨- حسن عيد الوهاب ،(جامع السلطان وما حوله ، طبعة القاهرة .
٩- يونس الحاج محمد ، نجاة ، المحاريب العراقية منذ العصر الاسلامي الى نهاية العصر العباسي ، جمهورية العراق ، وزارة الاعلام ، مديرية الاثار العامة ، بغداد ١٩٧٦ .
١٠- موسوعة المفاهيم الاسلامية ، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ، مصر .
١١- الحسيني ، د. محمد باقر ، الاخيضر ، سومر ٢٢(١٩٦٦).
١٢- الزخارف الرخامية في الموصل ، سومر ٢١ (١٩٦٥).

The Iraqi mihrabs, their history, their names In the Abbasid period

assistant teacher: Imtithal kazem Alnaqeeb
Center for Revival of Arab Scientific Heritage
Baghdad University

Abstract

The mihrab is an architectural element created by the Muslims for the necessities of which the direction of Qibla is set in the mosques, and the front stands in it during the prayer so as to provide a complete description of the Muslims inside the chapel. The mihrab has a third benefit in amplifying the voice during the time of prayer, Peace be upon him) and the Mosque of Damascus, the Mosque of Kairouan, and the Mosque of Amr Balfstat?.

(132AH - 656 AD) - (749 AD - 1258 AD). This era was marked by prosperity, sophistication, the development of architecture, the abundance and distinction of mosques, and hence the abundance of Islamic mihrabs and the development of its decoration.

And talk about the most important niches of the mosques in the Abbasid era, including, the Mosque of the Caliph in Samarra, and the Mosque of the Palace of Al-Akhaydir, and Al-Mansour Mosque in Baghdad, this is what the search, as well as the introduction and conclusion, and the list of margins and references